هذه الدراسة الاولية على العكس ، ذلك ان العلاقات التي اقيمت بين اليهود والعرب وبين الاسرائيليين والفلسطينيين ،داخل الدولة الصهيونية ، ليست نتيجة للحرب والصراع ٠انها تنبع مباشرة ــ كما حاولنا ان نبين هنا ــ من طبيعة المشروع الصهيوني ، من اسسه الايديولوجية ، ومضاعفاته الملموسة ٠ انها جذر المشكل ٠

وهذا يلقي ضوءا على طبيعة السلام ، التي تطرح على جدول اعمال الكبار ومعظم انظمة المنطقة ٠ هذا « السلام » ــ الذي حددت صيغته مرة اخرى من طرف الجمعية العمومية للامم المتحدة في صيف ١٩٧٦ ــ يفترض « حل المشكلة الفلسطينية » على قاعدة التعايش بين دولتين ٠ الدولة اليهودية ضمن حدود ٤ حزيران ، والدولة الفلسطينية ، اي سيتم تطبيق خطة اقتسام فلسطين بعد عمليات الضم التي تمت بين ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ٠ بعد اربعين سنة من التأخير ٠

وعدا عن ان هذا « السلام المتفاوض عليه » يفترض جلاء اسرائيل عن الاراضي المحتلة سنة ١٩٦٧ ، وعدا عن انه يفترض حل مشكلة التمثيل الفلسطيني في المفاوضات ، وعدا عن انه يستلزم مناخا عالميا ومحليا ملائما لنجاح هكذا مفاوضات ، فان مشكلة عرب اسرائيل ( البالغ عددهم اليوم نصف مليون وسيبلغ المليون في عشر سنوات ) تبقى كاملة ٠

لان مع السلم الاميركي او من دونه ، ومع مؤتمر جنيف او من دونه ، ومع مخطط روجرز او الدولة الصغيرة ، فان عرب تل ابيب وحيفا والرملة ودير حنا ، سيبقون ضمن دولة ترى في التقسيم ، كما قال بن ــ غوريون منذ ١٩٣٧ ، تبريرا لطابعها اليهودي ٠

صحيح ان الامم المتحدة لا تتحدث فقط عن التقسيم ، ( اي في هذه الحالة الجلاء عن اراضي ١٩٦٧ ) ، بل انها تتحدث ايضا عن « عودة اللاجئين الى منازلهم » ٠ لكن المشكلة انه في اكثر الحالات لم يبق لهذه المنازل من وجود ٠ فقد اقيمت المدن والقرى والمزارع والمصانع ، حيث يعيش ويعمل اناس هم يهود من ابناء مهاجري يهود اوروبا او مهاجري الشرق الاوسط وافريقيا الشمالية ٠ المشكلة ان هذا البند المتعلق بعودة اللاجئين سيبقى حبرا على ورق ما دامت الصهيونية الايديولوجيا الرسمية والفعلية لدولة اسرائيل ٠ فالمسألة اذن هي مسألة « الطابع اليهودي للدولة » ٠ انها ليست مسألة حدود بل مسألة علاقات اجتماعية وسياسية بين اليهود وغير اليهود في دولة اسرائيل ٠ ذلك انه حتى لو اخذت الجليل والمثلث ، حيث تعيش اغلبية عربية ، من اسرائيل والحقت بالدولة الفلسطينية المنشودة ، فان المسألة ستبقى ٠ ستبقى ليس فقط بسبب لاجئي بئر السبع وعسقلان ويافا واللد ، بل وكذلك بسبب الاقلية العربية الصغيرة التي بقيت في هذه المدن ، بسبب من سوف « لن يرحلوا » ٠ المسألة اذن هي مسألة الدولة اليهودية ٠ فما دام في اسرائيل « انقاذ » للارض « بتهويدها » وما دام اليهودي وغير اليهودي يمثلان صنفين بالنسبة للنظام فان كينغ لن يصدم الا السذج او المخادعين ٠ فعودة اللاجئين حتى الى اراض غير تلك التي رحلوا عنها ، ستبقى امنية غالية لا يمكن تحقيقها ٠ ويبقى السؤال مفتوحا ، وتبقى « المسألة العربية » في الدولة اليهودية من دون حل ٠ ذلك ان التقسيم الذي ما انفك الحديث عنه منذ ١٩٣٧ ، اذا ما تم ، فانه سينقل مركز ثقل الصراع دون ان يسويه ، دون ان يطفىء النار فيه ٠ وبعد ان يتم التقسيم ستتحول اسرائيل الى الستر جديدة ٠ يكون للجليل فيها دور المقاطعات الكاثوليكية ٠ والاحياء العربية للمدن الاسرائيلية دور غيتو بلفاست ٠ لهذه الاسباب لا بد من قراءة الصفحات السابقة ٠ فالان وبعد ٣٠ اذار ١٩٧٦ ، وبعد الصدامات العنيفة التي جدت ، وبعد احداث ٣٠ اذار ١٩٧٧ في البقعة الغربية وجات ، وبعد احداث ٨ تشرين الثاني ١٩٧٧ في مجد الكروم في المثلث ،